

المسالك والمحلل

لوثنة القبول

الداء والدواء

إعداد

د / عبد العزيز بن محمد بن علي العبد اللطيف

دار الوطن للنشر

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م

دار الوطن للنشر - الرياض

هاتف : ٤٧٩٢٠٤٢ (٥ خطوط) فاكس : ٤٧٢٣٩٤١ - ص ب : ٣٣١٠

البريد الإلكتروني : pop@dar-alwatan.com

موقعنا على الإنترنت : www.dar-alwatan.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فلا يخفى أن الغلو في القبور بشتى صوره وأنواعه قد عمَّ وطمَّ في غالب البلاد، وتلبَّس بهذه المظاهر الشركية وطرائقها كثير من الناس، وصارت هذه القبور مزارات و«مشاعر» يقصدها الناس، ويشدُّون إليها الرحال من سائر الأمصار؛ وسدنة هذه الأضرحة وعلماء الضلالة يزيتون الشرك للعامة بشتى أنواع الدعاوى والشبهات، ويأكلون أموال الناس بالباطل، ويصدُّون عن سبيل الله تعالى.

إن على المنتسبين للعلم والدعوة واجباً كبيراً تجاه هذا التيار الوثني، وفي هذه المقالة نورد بعض

المسالك الرئيسة التي تسهم في حل وعلاج انحرافات القبوريين وشبهاتهم.

أولاً: المسلك العلمي:

وهذا المسلك يقوم به أهل العلم وطلابه تجاه دعاوى القبوريين وشبهاتهم، وسنعرض لجملة من الأجوبة العلمية على النحو الآتي:

(١) إذا كان أهل السنة ينطلقون من منهج متين أصيل في التلقي والاستدلال، فإن القبوريين يعولون في تلقيهم واستدلالهم على المنامات والأحاديث المكذوبة والحكايات المزعومة.

فيحتجون بأحلام شيطانية على تجويز شركهم وكفرهم بالله تعالى، ومن ذلك: أن أبا المواهب الشاذلي يقول: «رأيت رسول الله ﷺ، قال لي: إذا كانت لك حاجة وأردت قضاءها فانذر لنفسية الطاهرة

ولو فلساً؛ فإن حاجتك تقضى»^(١).

فهذا حلم شيطاني، ودعوة صريحة للشرك بالله عز وجل، ونقض التوحيد، وتنقُص لمقام سيد المرسلين ﷺ الذي مكث ثلاثة وعشرين عاماً يدعو إلى أفراد الله تعالى بالعبادة، ويسد كل طريق يفضي إلى الشرك.

وعلى كل؛ فالمنامات لا يمكن ضبطها، وصاحبها ليس نبياً معصوماً، ومن ثمّ: فلا يعتمد عليها؛ فكيف إذا كانت حلماً شيطانياً وخالف الأحكام الشرعية، بل وخالفت الأصل الأصيل وهو أفراد الله تعالى بجميع أنواع العبادة؟.

يقول شيخ الإسلام: «وكذلك مشاهد تضاف إلى بعض الأنبياء أو الصالحين بناء على أنه رؤي في المنام هناك؛ ورؤية النبي ﷺ أو الرجل الصالح في

(١) «طبقات الشعراني» (٢/٧٤).

المنام ببقعة لا يوجب لها فضيلة تُقصد البقعة لأجلها
وَتُتَّخَذُ مُصَلًى بِإِجْمَاعِ الْمُسْلِمِينَ، وَإِنَّمَا يَفْعَلُ هَذَا
وَأَمْثَالَهُ أَهْلُ الْكِتَابِ»^(١).

ويحتجون بأحاديث مكذوبة مثل: «إِذَا أُعِيْتِكُمْ
الْأُمُورَ فَعَلَيْكُمْ بِأَصْحَابِ الْقُبُورِ».

«فهذا الحديث كذب مفترى على النبي ﷺ،
بإجماع العارفين بحديثه لم يروه أحد من العلماء
بذلك، ولا يوجد في شيء من كتب الحديث
المعتمدة»^(٢).

وأشار ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ إِلَى أَنَّ هَذَا الْحَدِيثَ مِنْ
الْأَحَادِيثِ الْمُخْتَلَقَةِ الَّتِي وَضَعَهَا أَشْبَاهُ عُبَادِ الْأَصْنَامِ
مِنَ الْمَقَابِرِيَّةِ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ^(٣).

(١) «اقتضاء الصراط المستقيم» (٢/٦٥٠).

(٢) «مجموع الفتاوى» (١/٣٥٦).

(٣) انظر: «إغاثة اللهفان» (١/٣٣٢).

كما يعتمدون على حكايات في تجويز الغلو في القبور والاستغائة بها، وأن الدعاء عندها هو الترياق المجرب.

وغالب هذه الحكايات من اختلاق الدجالين الأفاكين الذين لا يهمهم إلا أكل أموال الناس بالباطل والصدّ عن دين الله تعالى^(١).

وقد أشار ابن تيمية إلى أن هذه الحكايات «إما كذب، أو غلط، أو ليس حجة»^(٢)، كما ذكر أن إجابة الدعاء، قد يكون سببه اضطرار الداعي وصدقه، وقد يكون سببه مجرد رحمة الله له، وقد يكون أمراً قضاه الله لا لأجل دعائه، وقد يكون له أسباب أخرى^(٣).

(١) «اقتضاء الصراط المستقيم» (٢/٦٥٢)، و«إغاثة اللهفان» (١/٣٣٣).

(٢) «اقتضاء الصراط المستقيم» (٢/٦٨٨).

(٣) «اقتضاء الصراط المستقيم» (٢/٦٥٣)، وانظر: «إغاثة اللهفان» =

وقد تكون تلك الحكايات صحيحة، ولكنها من الشيطان، فإنه قد يتراءى لبعضهم في صورة من يعتقد فيه، ويتسمى باسمه، وقد تقضي الشياطين بعض حوائج من استغاث بالأموات.

يقول ابن تيمية: «وهكذا كثير من أهل البدع والضلال والشرك المتتسبين إلى هذه الأمة؛ فإن أحدهم يدعو ويستغيث بشيخه الذي يعظمه وهو ميت.. ويرى ذلك الشخص قد أتاه في الهواء ودفع عنه بعض ما يكره، أو كلمه ببعض ما سأله عنه.. وهو لا يعرف أن تلك شياطين تصوّرت على صورته لتضله، وتضل أتباعه، فتحسّن لهم الإشراك بالله ودعاء غير الله»^(١).

(١/٣٣٣، ٣٣٤).

(١) «مجموع الفتاوى» (٤٥٦/١٧) = باختصار، وانظر: «الدعاء ومنزلته من العقيدة الإسلامية» لجيلاني خضر العروسي (١/٤٤٧، ٢/٨١٢).

فيتعين على أهل العلم كشف عوار مسلك القبوريين وبيان تهافته، وفساد التعويل على المناطات والأحلام، والأحاديث الموضوعية، والحكايات المزعومة، مع تقرير المنهج الصحيح في التلقي والاستدلال كالاعتماد على الكتاب والسنة الصحيحة، واعتبار فهم السلف الصالح ونحو ذلك.

(٢) ومن الأجوبة المجملة المحكمة: ما ذكره إمام الدعوة رَحِمَهُ اللهُ فِي الرَّدِّ عَلَى شَبَهَاتِ الْقُبُورِيِّينَ بِقَوْلِهِ: «جواب أهل الباطل من طريقتين: مجمل ومفصل:

أما المجمل: فهو الأمر العظيم والفائدة الكبيرة لمن عقلها، وذلك قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ تُحْكِمُكَ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخْرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٧]. وقد صحَّ عن رسول الله ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «إِذَا رَأَيْتُمُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ؛ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ سَمَّى اللَّهُ فَاحْذَرُوهُمْ» [أخرجه

البخاري ومسلم].

مثال ذلك: إذا قال لك بعض المشركين: ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، وإن الشفاعة حق، وإن الأنبياء لهم جاه عند الله، أو ذكر كلاماً للنبي ﷺ يستدل به على شيء من باطله، وأنت لا تفهم معنى هذا الكلام الذي ذكره فجاوبه بقولك: إن الله ذكر في كتابه أن الذين في قلوبهم زيغ يتركون المحكم ويتبعون المتشابه، وما ذكرته لك من أن الله تعالى ذكر أن المشركين يقرون بالربوبية وأن كفرهم بتعلقهم على الملائكة والأنبياء، مع قولهم: هؤلاء شفعاؤنا عند الله، وهذا أمر محكم بيّن لا يقدر أحد أن يغيّر معناه.

وما ذكرته لي أيها المشرك من القرآن، أو كلام النبي ﷺ، لا أعرف معناه، ولكن أقطع أن كلام الله لا يتناقض، وأن كلام النبي ﷺ لا يخالف كلام الله عز وجل، وهذا جواب سديد، ولكن لا يفهمه إلا

مَنْ وَفَّقَهُ اللهُ فَلَا تَسْتَهْنِ بِهِ»^(١).

فهذا جواب سديد وحجة ظاهرة تجاه كل شبهة. وقد ساق المؤلف جواباً في توضيح هذا الجواب، فأقرار مشركي العرب بتوحيد الربوبية وأن كفرهم بسبب اتخاذهم وسائط بينهم وبين الله تعالى، يسألونهم ويدعونهم يُعَدُّ أمراً محكماً ظاهراً لا اشتباه فيه ولا التباس، وأما احتجاج المبتدع لباطله ببعض النصوص الشرعية فهو أمر مشتبه ومشكل لا يُعلم معناه - بالنسبة لذلك الموحد - ولا يترك المحكم الواضح ويتبع المتشابه إلا أهل الزيغ؛ مع يقيننا أن أدلة الحق لا تتناقض سمعية كانت أو عقلية؛ فالنصوص الشرعية يصدّق بعضها بعضاً، فما كان متشابهاً فيردّ إلى ما كان محكماً، بل نجزم أن أهل البدع لا يكادون يحتجون بحجة سمعية ولا عقلية إلا

(١) «كشف الشبهات»، ص(٤٢، ٤٤).

وهي عند التأمل حجة عليهم لا لهم^(١).

وهؤلاء القبوريون من أهل الزيغ الذين يتبعون المتشابه ابتغاء الفتنة، ليس نظرهم في الدليل نظر المستبصر حتى يكون هواه تحت حكمه، بل نظر مَنْ حكم بالهوى، ثم أتى بالدليل كالشاهد له^(٢).

وشبهاتهم التي احتجوا بها - إن صحت - من المتشابهات التي يتعيّن ردّها إلى المحكمات من الآيات والأحاديث الدالة على وجوب إفراد الله تعالى بالدعاء والاستغاثة وسائر أنواع العبادة والنهي عن الشرك وذرائعه.

(٣) وإذا انتقلنا إلى الجواب عن شبهاتهم، فنقول ابتداءً: لا يوجد لدى القبوريين دليل صحيح صريح

(١) انظر: «مجموع الفتاوى» لابن تيمية (٦/٢٥٤، ٥١٤)، و«حادي

الأرواح» لابن القيم ص(٢٠٨).

(٢) انظر: «الاعتصام» للشاطبي (١/٢٢١).

في تجويز استغاثتهم بالقبور، وما قد يصح من شبهاتهم إنما قد يُستدل بها - عند البعض - على جواز التوسل إلى الله تعالى بالذوات، فلا تدل على جواز الاستغاثة بالقبور. والتوسل إلى الله تعالى بالذوات بدعة محدثة، بينما الاستغاثة بالقبور كفر وردة، فالفرق بينهما ظاهر.

يقول الشيخ عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب موضعاً الفرق بين التوسل والاستغاثة: «وبينهما فرق عظيم أبعد مما بين المشرق والمغرب... فالعامة الذين يتوسلون في أدعيتهم بالأنبياء والصالحين كقول أحدهم: أتوسل إليك بنبيك، أو بملائكتك، أو بالصالحين، أو بحق فلان وغير ذلك مما يقولونه في أدعيتهم يعلمون أنهم لا يستغيثون بهذه الأمور، ولا يسألونها وينادونها؛ فإن المستغيث بالشيء طالب منه وسائل له، والمتوسل به لا يدعو ولا يطلب منه ولا يسأل، وإنما يطلب به، وكل أحد يفرّق بين المدعو

به وبين المدعو والمستغاث، ولا يعرف في لغة أحد من بني آدم أن مَنْ قال: أتوسل إليك برسولك أو أتوجه إليك برسولك؛ فقد استغاث به حقيقة، فإنهم يعلمون أن المستغاث به مسؤول مدعو، فيفرقون بين المسؤول وبين المسؤول به»^(١).

ومع ذلك فالتوسل إلى الله تعالى بالذوات أو الجاه قد صار ذريعة إلى دعاء القبور والتعلق بها، وما قد يُستدل به على التوسل إلى الله بالذوات أو الجاه، فإما أن يكون صريحاً لكنه لا يصح ولا يثبت، وما قد يكون صحيحاً فلا يدل على مرادهم، وإنما يدل على التوسل المشروع كالتوسل بأسماء الله وصفاته والعمل الصالح كما بسط في موضعه^(٢).

(١) «مجموعة الرسائل والمسائل النجدية» (١/٧٠).

(٢) انظر: «قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة» لابن تيمية، و«التوسل» للألباني، و«التوصل إلى حقيقة التوسل» لمحمد نسيب الرفاعي رحمهم الله.

وأمر آخر، وهو أن القبوريين قد لبَّسوا على العوام وأشباههم بهذه الألفاظ المجملة المشتركة، فصاروا يطلقون لفظ «التوسل» - مثلاً - على الاستغاثة بالقبور ودعائها، فيظن البعض أن مرادهم التوسل إلى الله بالذات أو الجاه.. فيقع اللبس والإشكال.

والتحقيق أن هذه الألفاظ المجملة يتعيَّن تفصيلها وبيانها، وقد بيَّن أهل العلم ما يحمله لفظ «التوسل» من الإجمال والاشتراك، ومن ذلك ما قاله الشيخ العلامة عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن: «إن لفظ التوسل صار مشتركاً، فعُباد القبور يطلقون التوسل على الاستغاثة بغير الله ودعائه رَغَباً ورَهَباً، والذبح والنذر والتعظيم بما لم يشرع في حق مخلوق. وأهل العلم يطلقونه على المتابعة والأخذ بالسنة، فيتوسلون إلى الله بما شرعه لهم من العبادات، وبما جاء به عبده ورسوله محمد ﷺ، وهذا هو التوسل في عُرف القرآن والسنة.. ومنهم من يطلقه على

سؤال الله ودعائه بجاه نبيه أو بحق عبده الصالح، وهذا هو الغالب عند الإطلاق في كلام المتأخرين كالسبكي والقسطلاني وابن حجر الهيتمي^(١).

ومن شبهات القبوريين قولهم: إن مشركي العرب لم يكونوا يعترفون بالربوبية لله تعالى، ونحن نعرف بأن الله تعالى هو الرب المدبّر الخالق.

فالجواب على هذه الشبهة: أنّ مشركي العرب مُقَرَّرُونَ بتوحيد الربوبية، فلم ينازعوا فيه، بل إن هذا التوحيد لم ينازع في أصله أحد من بني آدم^(٢)، والدليل على أن هؤلاء المشركين الذين قاتلهم رسول الله ﷺ واستحلّ دماءهم كانوا مُقَرَّرِينَ بأن الله هو الخالق الرازق المدبّر: قوله سبحانه: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ

(١) «منهاج التأسيس» ص(٢٦٧)، وانظر: «مصباح الظلام» ص(١٧٨).

(٢) انظر: «التدمرية» لابن تيمية، ص(١٨١)، و«مجموع الفتاوى» (٣٨/٢).

مَنْ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ
الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدِيرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ
فَقُلْ أَفَلَا نُنْقُوتُ ﴿٣١﴾ [يونس: ٣١].

قال قتادة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إنك لست تلقى أحداً منهم إلا
أنباك أن الله ربه وهو الذي خلقه ورزقه وهو مشرك
في عبادته»^(١).

وقال ابن جرير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند قوله تعالى: ﴿فَقُلْ أَفَلَا
نُنْقُوتُ﴾ [يونس: ٣١]: «أفلا تخافون عقاب الله على
شرككم وعبادتكم معه من لا يرزقكم شيئاً ولا يملك
لكم ضرراً ولا نفعاً»^(٢).

فالإقرار بربوبية الله تعالى لا يتحقق به التوحيد
المطلوب، فمشركو العرب مُقَرَّبُونَ بتوحيد الربوبية،
ومع ذلك قاتلهم رسول الله ﷺ، واستحلّ دماءهم

(١) «تفسير ابن جرير» (٧٨/١٣).

(٢) «تفسير ابن جرير» (١١٤/١١).

حتى يفردوا الله عز وجل بجميع أنواع العبادة .
 ومن شبهاتهم: دعواهم أن الآيات القرآنية نزلت
 فيمن يعبد الأصنام والأحجار . . فلا تشملهم .
 وجوابها: أن الشرك بالله أن يجعل لله نداً في
 العبادة سواء أكان صنماً أو حجراً أو نبياً أو ولياً .
 ومما قاله العلامة محمد بن علي الشوكاني رحمته الله
 جواباً على هذه الشبهة: «الشرك: هو أن يفعل لغير
 الله شيئاً يختص به سبحانه، سواءً أطلق على ذلك
 الغير ما كان تطلقه عليه الجاهلية - كالصنم والوثن -
 أو أطلق عليه اسماً آخر - كالولي والقبر والمشهد -»^(١) .
 وإن أراد القبوريون بمقولتهم: هؤلاء الآيات نزلت
 فيمن يعبد الأصنام، بأنه لا يجوز تنزيل هذه الآيات
 على من عمل عملهم؛ فهذا من أعظم الضلال .
 يقول الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمته الله عن هذه

(١) «الدر النضيد» ص(١٨)، بتصرف يسير .

المقولة: «فهذا ترس قد أعدّه الجُهَّال الضُّلال لردّ كلام، إذا قال لهم أحد: قال الله كذا، قالوا: نزلت في اليهود، نزلت في النصارى، نزلت في فلان...»
 وجواب هذه الشبهة «الفاسدة» أن يقال: معلوم أن القرآن نزل بأسباب، فإن كان لا يُستدل به إلا في تلك الأسباب بطل استدلاله، وهذا خروج من الدين، وما زال العلماء من عصر الصحابة فمن بعدهم يستدلون بالآيات التي نزلت في اليهود وغيرهم على من يعمل بها»^(١).

ومن شبهاتهم: أن سؤالهم أرباب القبور من أجل طلب الشفاعة، فهؤلاء الموتى شفعاء بينهم وبين الله تعالى.

والجواب: أن الله قد سمّى اتخاذ الشفعاء شركاً، فقال سبحانه: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا

(١) «تاريخ ابن غنام» (٢٨٥/١) بتصرف يسير.

يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعْتُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتَنْبِئُونَ اللَّهَ
بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا
يُشْرِكُونَ ﴿ [يونس: ١٨].

وأمر آخر أن الشفاعة كلها لله تعالى، كما قال
سبحانه: ﴿ قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا ﴾ [الزمر: ٤٤]، وقال
عز وجل: ﴿ وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَاعَةَ ﴾
[الزخرف: ٨٦].

يقول ابن تيمية: «فلا يملك مخلوق الشفاعة
بحال، ولا يتصور أن يكون نبي فمّن دونه مالكا لها،
بل هذا ممتنع، كما يمتنع أن يكون خالقا وربا.
قال سبحانه: ﴿ وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ
لَهُ ﴾ [سبا: ٢٣]، فنفي نفع الشفاعة إلا لمن استنأه،
لم يثبت أن مخلوقاً يملك الشفاعة، بل هو سبحانه له
الملك وله الحمد، لا شريك له في الملك»^(١).

(١) «مجموع الفتاوى» (٤٠٦/١٥) = باختصار.

وجواب ثالث: أن الله تعالى أعطى الأنبياء والأولياء الشفاعة، لكن نهانا عن سؤالهم ودعائهم، فقال سبحانه: ﴿وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [يونس: ١٠٦]، والشفاعة نوع من الدعاء^(١)، ولا يكون الدعاء إلا لله تعالى وحده.

كما أن إعطاء الله الأنبياء والأولياء الشفاعة ليس تمليكاً مطلقاً، بل هو تمليك معلق على الإذن والرضا، وسيد الشفعاء ﷺ لا يشفع حتى يقال له: ارفع رأسك، وقل تسمع، واشفع تشفع^(٢).

والحديث عن شبهات القبوريين والرد عليها طويل جداً، وإنما ذكرنا بعضاً منها، وقد صنف مصنفات نافعة تتضمن الرد على شبهات القبوريين، مثل قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة، والرد على البكري،

(١) انظر: «مجموع الفتاوى» (١/٢٠٠).

(٢) انظر: «تأسيس التقديس» لأبي بطين، ص (٨٢).

والرد على الأحنائي، كلها لشيخ الإسلام ابن تيمية، وإغاثة اللفهان من مصائد الشيطان، لابن القيم، والصارم المنكي في الرد على السبكي، لابن عبد الهادي، وكشف الشبهات، للشيخ محمد بن عبد الوهاب، وتطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد للصنعاني، والنبذة الشرعية النفيسة في الرد على القبوريين لحمد بن معمر، والدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد، لمحمد بن علي الشوكاني، وصيانة الإنسان عن وسوسة دحلان لمحمد بشير السهسواني، وتطهير الجنان والأركان عن درن الشرك والكفران، لأحمد بن حجر آل بوطامي، وتحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد، لمحمد ناصر الدين الألباني، والدعاء ومنزلته في العقيدة الإسلامية لجيلاني بن خضر العروسي... وغيرها كثير.

(٤) ومن دعاويهم العريضة: احتجاجهم بأن كثيراً من المسلمين في القديم والحديث يبنون على القبور،

ويتخذون المشاهد والقباب، ويتحرون الدعاء عندها.

والجواب عن هذه الدعوى من وجوه:

أحدها: أن أكثر هذه المشاهد مكذوبة لا تصح نسبتها إلى أصحابها، وكما يقول شيخ الإسلام: «وكم من مشهد يعظمه الناس وهو كذب، بل يقال: إنه قبر كافر، كالمشهد الذي بسفح جبل لبنان الذي يُقال: إنه قبر نوح؛ فإن أهل المعرفة يقولون: إنه قبر بعض العمالقة. وكذلك مشهد الحسين الذي بالقاهرة، وقبر أبي بن كعب الذي في دمشق، اتفق العلماء على أنه كذب»^(١).

ويقول في موضع آخر: «عامّة أمر هذه القبور والمشاهد مضطرب مختلق، لا يكاد يوقف منه على العلم إلا في القليل منها بعد بحث شديد؛ وهذا لأن

(١) «الرد على البكري» ص(٣١٠)، وانظر: «اقتضاء الصراط المستقيم» (٢/٦٤٦ - ٦٤٩)، و«مجموع الفتاوى» (٢٧/٤٥٩).

معرفتها وبناء المساجد عليها ليس من شريعة الإسلام . . بل قد نهى النبي ﷺ عما يفعله المبتدعون عندها . . «^(١) .

ثانياً: أنَّ البناء على القبور وتحري الدعاء عندها ونحو ذلك: من البدع المنكرة التي حذَّر منها الشارع أيما تحذير، كما في قوله ﷺ: «لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد - يحذَّر ما صنعوا» [متفق عليه].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «قد كان من قبور أصحاب رسول الله ﷺ بالأمصار عدد كثير، وعندهم التابعون، ومن بعدهم من الأئمة، وما استغاثوا عند قبر صاحب قط، ولا استسقوا عند قبره ولا به، ولا استنصروا عنده ولا به. ومن المعلوم أن مثل هذا مما تتوفر الهمم والدواعي على نقله، بل على نقل ما هو دونه، ومن تأمل كتب الآثار، وعرف حال السلف،

(١) «مجموع الفتاوى» (٢٧/٤٤٩، ٤٥٠) = باختصار.

تيقن قطعاً أن القوم ما كانوا يستغيثون عند القبور، ولا يتحرون الدعاء عندها أصلاً، بل كانوا ينهون عن ذلك من كان يفعلُه من جَهَّالهم»^(١).

ويقول ابن القيم مبيِّناً أن صنع القبورين مفارق لما كان عليه سلف الأمة: «هل يمكن لبشر على وجه الأرض أن يأتي عن أحد منهم [أي: السلف الصالح] بنقل صحيح أو حسن أو ضعيف أو منقطع أنهم كانوا إذا كان لهم حاجة قصدوا القبور فدعوا عندها، وتمسحوا بها، فضلاً أن يصلُّوا عندها، أو يسألوا الله بأصحابها، أو يسألوهم حوائجهم، فليوقفونا على أثر واحد، أو حرف واحد في ذلك...»^(٢).

ويقول العلامة الصنعاني مجيباً عن هذه الشبهة: «إن أردت الإنصاف وتركت متابعة الأسلاف وعرفت

(١) «اقتضاء الصراط المستقيم» (٢/٦٨١).

(٢) «إغاثة اللهفان» (١/٣١٨).

أن الحق ما قام عليه الدليل، لا ما اتفق عليه العوالم جيلاً بعد جيل وقبيلاً بعد قبيل؛ فاعلم أن هذه الأمور التي نندندن حول إنكارها، ونسعى في هدم منارها صادرة عن العامة الذين إسلامهم تقليد الآباء بلا دليل، ينشأ الواحد فيهم فيجد أهل بلده يلقنونه: أن يهتف باسم من يعتقدون فيه، ويراهم يندرون له، ويرحلون إلى محل قبره... فنشأ على هذا الصغير، وشاخ عليه الكبير، ولا يسمعون من أحد عليهم من نكير.. ولا يخفى على أحد يعرف بارقة من علم الكتاب والسنة والأثر أن سكوت العالم على وقوع المنكر ليس دليلاً على جواز ذلك المنكر»^(١).

ويقول العلامة الشوكاني: «اعلم أنه قد اتفق الناس سابقهم ولاحقهم وأولهم وآخرهم من لدن الصحابة رضي الله عنهم إلى هذا الوقت أن رفع القبور والبناء

(١) «تطهير الاعتقاد» ص(٣٦) = باختصار.

عليها من البدع التي ثبت النهي عنها واشتد وعيد رسول الله ﷺ لفاعلها، ولم يخالف في ذلك أحد من المسلمين»^(١).

ثالثاً: إن سكوت العلماء عن هذه المظاهر الشركية والبدعية عند المشاهد والقبور لا يعني الرضا والإقرار، فقد يتعذر عليهم الإنكار باليد وباللسان، ولم يبق لهم إلا الإنكار بالقلب، لاسيما وهذه المشاهد والقباب قد بناها حكام وسلاطين؛ كما يقول الصنعاني: «فما كل سكوت رضى؛ فإن هذه منكرات أسسها من بيده السيف والسنان، ودماء العباد وأموالهم تحت لسانه وقلمه، وأعراضهم تحت قوله وكلامه، فكيف يقوى فرد من الأفراد على دفعه عمّا أراد. فإن هذه القباب والمشاهد أعظم ذريعة إلى الشرك والإلحاد، وأكبر وسيلة إلى هدم الإسلام

(١) «شرح الصدور» ص(٨).

وخراب بنيانه، وغالب - بل كل - من يعمرها هم الملوك والسلاطين والرؤساء والولاة إما على قريب لهم، أو على مَنْ يحسنون الظن فيه...»^(١).

ومن هذا القبيل: ما يحتج به القبوريون بأن قبر النبي ﷺ قد ضُمَّن المسجد النبوي دون نكير، ولو كان ذلك حراماً لم يدفن فيه، كما يحتجون بوجود القبة على قبره ﷺ.

والجواب: أن النبي ﷺ دفن في حجرة عائشة رضي الله عنها شرقي المسجد، فلم يدفن في المسجد، والأنبياء يدفنون حيث يموتون - كما جاءت بذلك الأحاديث -.

كما أن الصحابة رضي الله عنهم دفنوه في حجرة عائشة كي لا يتمكن أحد بعدهم من اتخاذ قبره مسجداً؛ كما في حديث عائشة رضي الله عنها،

(١) «تطهير الاعتقاد» ص (٤١).

قالت: قال رسول الله ﷺ في مرضه الذي مات فيه: «لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»، قالت: فلولا ذلك أبرز قبره غير أنه خشي أن يتخذ مسجداً. أخرجه البخاري ومسلم.

وأمر آخر، وهو أن الحجرة النبوية إنما أُدخلت في المسجد في خلافة الوليد بن عبد الملك بعد موت عامة الصحابة الذين كانوا بالمدينة^(١)؛ حيث أمر الوليد بن عبد الملك سنة ثمان وثمانين بهدم المسجد النبوي وإضافة حُجر أزواج النبي ﷺ إليه على سبيل التوسعة، فأدخل فيه الحجرة النبوية حجرة عائشة، فصار القبر بذلك في المسجد^(٢).

فلا يصح الاحتجاج بما وقع بعد الصحابة؛ لأنه

(١) انظر: «الرد على الأختائي» ص(١٨٤)، و«مجموع الفتاوى» (٣٢٣/٢٧).

(٢) انظر: «تاريخ ابن كثير» (٧٤/٩).

مخالف للأحاديث الثابتة وما فهمه سلف الأمة، وقد أخطأ الوليد في إدخاله الحجرة النبوية ضمن المسجد، وكان باستطاعته أن يوسعه من الجهات الأخرى دون أن يتعرّض للحجرة النبوية^(١).

وأما دعوى عدم الإنكار فهذه دعوى بلا دليل، وعدم العلم ليس علماً بالعدم، وسكوت العلماء لا يعني الرضا والإقرار؛ كما سبق الإشارة إليه آنفاً؛ لاسيما وأن الذي أدخل القبر النبوي ضمن المسجد خليفة ذو شوكة وسلطان - وهو الوليد بن عبد الملك - وكذا الذي اتخذ القبة - هو السلطان قلاوون -.

ومع ذلك فإن المعول عليه هو الدليل والبرهان وليس واقع الناس وحالهم، والله المستعان.

ومما يبين تهافت هذه الدعوى: ما نقل عن علماء

(١) انظر: «تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد» للألباني، ص (٩٣)، و«صراع بين الحق والباطل» لسعد صادق محمد، ص (١٠٦).

أنكروا هذا الصنيع وحذروا منه.

فيحكي عن سعيد بن المسيب رضي الله عنه: أنه أنكر إدخال حجرة عائشة في المسجد، كأنه خشي أن يتخذ مسجداً^(١).

وقد نقل ابن تيمية ما حكاه ابن شبة في «تاريخ المدينة»: أن أبان بن عثمان قال للوليد بن عبد الملك - أثناء نظره إلى المسجد النبوي بعد توسعته -: إنا بنيناه بناء المساجد، وبنيتموه بناء الكنائس^(٢).

وأشار شيخ الإسلام ابن تيمية إلى إنكار هذه القبة؛ حيث قال: «ثم بعد ذلك بسنين متعددة بنيت القبة على السقف، وأنكره من كرهه»^(٣).

يقول العلامة حسين بن مهدي النعمي في الرد على هذه الدعوى: «قوله [أي: المخالف]: ومن المعلوم

(١) انظر: «تاريخ ابن كثير» (٧٥/٩).

(٢) انظر: «الرد على الأخنائي» ص (١١٩).

(٣) «اقتضاء الصراط المستقيم» (٢/٢٧٩).

أنه ﷺ له قبة، وأولياء المدينة وأولياء سائر البلدان .
 أقول: الأمر كذلك؛ فكان ماذا؟ بعد أن حذر ﷺ
 وأنذر وبرزاً جانبه المقدّس الأطهر ﷺ، فصنعتم له ما
 نهى عنه، أفلا كان هذا كافياً لكم عن أن تجعلوا أيضاً
 مخالفتكم عن أمره حجة عليه وتقدماً بين يديه! فهل
 أشار بشيء من هذا أو رضيه أو لم ينه عنه؟^(١)

وقال العلامة الصنعاني في الجواب عن هذه
 الشبهة: «فإن قلت: هذا قبر رسول الله ﷺ قد عمرت
 عليه قبة عظيمة، أنفقت فيها الأموال. قلت: هذا
 جهل عظيم بحقيقة الحال: فإن هذه القبة ليس بناؤها
 منه ﷺ، ولا من الصحابة، ولا من تابعيهم، ولا
 تابعي التابعين، ولا من علماء أمته وأئمة ملته، بل
 هذه القبة المعمولة على قبره ﷺ، من أبنية بعض
 ملوك مصر المتأخرين، وهو قلاوون الصالحي

(١) «معارج الألباب» ص(١٤٧)، بتصرف يسير.

المعروف بالملك المنصور في سنة ٦٧٨هـ، ذكره في تحقيق النصره بتلخيص معالم دار الهجرة، فهذه أمور دولية لادليلية، يتبع فيها الآخر الأول»^(١).

ويذكر أن الإخوان (رحمهم الله) قد همّوا في زمن الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عند دخولهم المدينة النبوية أن يزيلوا هذه القبة، ولكنهم خشوا من قيام فتنة أعظم من إزالة القبة^(٢).

ثانياً: المسلك الدعوي:

ويتمثل هذا المسلك من خلال عدة أمور:

(١) أن يُعنى العلماء والدعاة بتقرير التوحيد في تلك المجتمعات المولعة بتعظيم القبور والغلو فيها، وأن يجتهدوا في تجلية مفهوم التوحيد، من خلال

(١) «تطهير الاعتقاد» ص (٤٣).

(٢) انظر: «بحثاً حول القبة المبنية على قبر الرسول ﷺ» لمقبل الوداعي، ص (٢٧٥).

القصص القرآني وضرب الأمثال - وضرورة تعلق القلب بالله سبحانه وتعالى، وأن الله عز وجل هو المتفرد بالنفع والضر والخلق والتدبير، ومن ثمَّ فهو المألوه المعبود الذي تأله القلوب محبة وإجلالاً وخشية ورجاءً.

وأن يضمن هذا التقرير بيان عجز المخلوقين وضعفهم، وأنهم لا يملكون لأنفسهم - فضلاً عن غيرهم - ضرّاً ولا نفعاً ولا موتاً ولا حياةً ولا نشوراً. وأن يسعى إلى تحبيب هذا التوحيد إلى الناس من خلال الحديث عن فضائل التوحيد وبيان ثمراته وآثاره، وأخبار الأنبياء عليهم السلام والصالحين الذين حققوا التوحيد، كما ينبغي الاهتمام بإظهار أثر التوحيد على الحياة العلمية.

(٢) أن تربي الأمة عموماً - وهذه المجتمعات المعظمة للقبور خصوصاً - على أهمية التسليم لنصوص الكتاب والسنة والتحاكم إليها وانسراح

الصدر لها .

يقول سبحانه : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ
فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا
قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [النساء : ٦٥] .

وإذا كان طواغيت هذا العصر يفرضون على الناس احترام الشرعية الدولية والإذعان والتسليم لقرارات الأمم المتحدة؛ فإن على العلماء والدعاة إلى الله أن يدعوا المسلمين إلى ما أوجبه الله عليهم من التسليم والانقياد لنصوص الوحيين وعدم معارضتها بأي نوع من المعارضات سواءً أكان تقليدياً، أو معقولاً، أو ذوقاً، أو سياسة أو غيره، فالإيمان مبني على التسليم لله تعالى والإذعان لشرعه^(١) .

يقول أبو الزناد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : «إن السنن لاتخاصم ولا ينبغي لها أن تتبع بالرأي، ولو فعل الناس ذلك لم

(١) انظر : «الصواعق المرسله» لابن القيم (٤/١٥٦٠) .

يمض يوم إلا انتقلوا من دين إلى دين، ولكنه ينبغي للسنن أن تُلتزم ويُمسك بها على ما وافق الرأي أو خالفه»^(١).

(٣) أن يدعى الناس إلى الالتزام بالشرع والعمل بالسنة: فإن إظهار السنن والتمسك بها يستلزم زوال البدع واندثارها، وكذا العكس، فإنه ما ظهرت بدعة إلا رفع مثلها من السنّة، والنفوس إن لم تشتغل بسنة وتوحيد؛ فإنها ستشتغل ببدعة وشرك؛ فالنفوس خُلِقَتْ لتعمل لا لتترك^(٢).

وقد تتأقّل النفوس تجاه الالتزام بالأحكام الشرعية، وتنشط تجاه ما أحدثته من بدع ومحدثات، ومن ثم يتعين على دُعاة الإصلاح أن يأخذوا على أيدي هؤلاء ويذكروهم بفضل التمسك بالشرائع، وأن

(١) «الحجة لقوام السنة» الأصفهاني (٢٨١/١).

(٢) انظر: «اقتضاء الصراط المستقيم» (٦١٧/٢).

هذه الشرائع غذاء وروح، وقرّة عين وسرور قلب^(١).
يقول أبو الوفاء بن عقيل - متحدثاً عن تلك النفوس
المتناقلة تجاه الشرائع:

«لما صعبت التكاليف على الجُهّال والطغام،
عدلوا عن أوضاع الشرع إلى تعظيم أوضاع وضعوها
لأنفسهم، فسهلت عليهم؛ إذ لم يدخلوا بها تحت
أمر غيرهم، قال: وهم كفار عندي بهذه الأوضاع،
مثل: تعظيم القبور وإكرامها بما نهى الشرع عنه،
من: إيقاد النيران، وتقبيلها، وخطاب الموتى
بالألواح، وكتب الرقاع فيها: يا مولاي افعل بي كذا
وكذا...»^(٢).

(٤) دعوة المخاطبين إلى تدبر آيات القرآن

(١) انظر: «مجموع الفتاوى» لابن تيمية (١/٢٥، ٢٦).

(٢) «تلبس إبليس» لابن الجوزي، ص(٤٥٥)، وانظر: «اقتضاء
الصرات المستقيم» (٢/٦١١)، و«إغاثة اللهفان» (١/٣٣١).

الحكيم، وحثهم على التأمل والتفكر في معاني القرآن، كما قال سبحانه: ﴿ كَتَبْنَا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبْرَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [ص: ٢٩].

وقال عز وجل: ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ [النساء: ٨٢].

وإن من أعظم أسباب الضلال واستفحال الشرك: الإعراض عن تدبر آيات القرآن، والاقصرار على مجرد قراءته دون فهم أو فقه.

فإذا نظرنا - مثلاً - إلى مسألة أفراد الله عز وجل بالدعاء والاستغاثة، فإنها من أوضح الواضحات في كتاب الله، فقد تحدّث عنها القرآن في ثلاثمائة موضع^(١)، ومع ذلك فما أكثر الذين يتلون هذه الآيات بالستهم وينقضونها بأفعالهم وأحوالهم.

(١) انظر: «الدرر السنية» (٤١٨/٩)، و«اقتضاء الصراط المستقيم» (٧٠٥/٢).

يقول العلامة حسين بن مهدي النعمي رَحِمَهُ اللهُ (ت):
 (١١٨٧هـ) متحدثاً عن ضلال القبوريين:

«لا جَرَمَ لما كان ملاك أمر الجميع وحاصل
 مبلغهم وغايتهم هو التلاوة دون الفقه والتدبر
 والاتباع، خفي عليهم ذلك، وعموا وضموا عنه،
 وأتى لهم ذلك؟ وقد منعهم سادتهم وكبرائهم من
 أجليهم، وممن يقوم عليهم ويسوسهم، وقالوا: كتاب
 الله حجر محجور، لا يُستفاد منه، ولا يقتبس من
 أنواره، ولا ينال ما فيه من العلم والدين.

فلعمر الله للخير أضاعوا، وللشر أذاعوا، وإلا
 فلولا ذلك لكانت هذه المسألة [إفراد الله بالدعاء] من
 أظهر الظواهر، لما أن العناية في كتاب الله بشأنها أتم
 وأكمل، والقصد إليها بالتكرير والتقرير والبيان في
 كتاب الله أكثر وأشمل»^(١).

(١) «معارج الألباب» ص (٢١٦) = باختصار.

ويقول الشيخ العلامة عبدالرحمن بن حسن رحمه الله في هذا المقام:

«فمن تدبر عرف أحوال الخلق وما وقعوا فيه من الشرك العظيم الذي بعث الله أنبياءه ورسله بالنهي عنه، والوعيد على فعله، والثواب على تركه، وقد هلك من هلك بإعراضه عن القرآن وجهله بما أمر الله به ونهى عنه»^(١).

وعلينا أن نتواصى بتطهير القلوب وتركيتها لكي يحصل الانتفاع بمواعظ القرآن وأحكامه.

يقول ابن القيم عند قوله: ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ [الواقعة: ٧٩]: «دلَّت الآية بإشارتها وإيمانها على أنه لا يدرك معانيه ولا يفهمه إلا القلوب الطاهرة، وحرام على القلب المتلوث بنجاسة البدع والمخالفات أن ينال معانيه وأن يفهمه كما

(١) «قرة عيون الموحدين» ص (٣٣).

ينبغي»^(١).

(٥) مخاطبة عقولهم، ودعوتهم إلى التفكير والتأمل؛ فإن الولوج في تقديس الأضرحة والغلو فيها لا يظهر إلا عند أقوام ألغوا عقولهم، وعطلوا تفكيرهم، وأشربوا حبَّ التقليد ومحاكاة الآباء دون حجة أو برهان.

وقد عني القرآن بمخاطبة ذوي الألباب وأثنى عليهم، وحضَّ على التفكير والنظر في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار، كما تضمن القرآن أدلة عقلية وحججاً برهانية في تقرير التوحيد والنبوة والمعاد.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنْفَعُ

(١) «التبيان في أقسام القرآن» ص (١٤٣).

السَّفْعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ ﴿ [سبأ: ٢٢، ٢٣].

يقول ابن القيم عند هذه الآية الكريمة: «فتأمل كيف أخذت هذه الآية على المشركين بمجامع الطرق التي دخلوا منها إلى الشرك وسدّتها عليهم أحكم سد وأبلغه؛ فإن العابد إنما يتعلق بالمعبود لما يرجو من نفعه، وإلا فلو لم يرج منه منفعة لم يتعلق قلبه به، وحينئذٍ فلا بد أن يكون المعبود مالكا للأسباب التي ينفع بها عابده أو شريكاً لمالكها، أو ظهيراً أو وزيراً ومعاوناً له، أو وجيهاً ذا حرمة، وقد يشفع عنده؛ فإذا انتفت هذه الأمور الأربعة من كل وجه وبطلت، انتفت أسباب الشرك وانقطعت مواده، فنفى سبحانه عن آلهتهم أن تملك مثقال ذرة في السموات والأرض، فقد يقول المشرك: هي شريكة لمالك الحق فنفى شركتها له، فيقول المشرك: قد تكون ظهيراً ووزيراً ومعاوناً، فقال: ﴿ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِّنْ ظَهِيرٍ ﴾ [سبأ: ٢٢]، فلم يبق إلا الشفاعة فنفاها عن آلهتهم،

وأخبر أنه لا يشفع عنده أحد إلا بإذنه»^(١).

ومن الأجوبة العقلية في الرد على دعوى القبوريين في أنهم ينتفعون بهذه الأضرحة: ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ بقوله: «عامة المذكور من المنافع كذب؛ فإن هؤلاء الذين يتحرّون الدعاء عند القبور وأمثالهم إنما يُستجاب لهم في النادر، ويدعو الرجل منهم ما شاء الله من دعوات، فيُستجاب له في واحدة، ويدعو خلق كثير فيستجاب للواحد بعد الواحد، وأين هذا من الذين يتحرون الدعاء أوقات السحر، ويدعون الله في سجودهم وأدبار صلاتهم، وفي بيوت الله؟ فإن هؤلاء إذا ابتهلوا من جنس ابتهال المقابر لم تكن تسقط لهم دعوة إلا لمانع، بل الواقع أن الابتهال الذي يفعله المقابريون إذا فعله المخلصون، لم يُرد المخلصون إلا نادراً، ولم

(١) «الصواعق المرسلّة» (٢/٤٦١، ٤٦٢).

يُستجِب للمقابرِين إلا نادراً، والمخلصون كما قال النبي ﷺ: «ما من عبد يدعو الله بدعوة ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم إلا أعطاه الله بها إحدى خصال ثلاث: إما أن يعجّل الله دعوته، أو يدّخر له من الخير مثلها، أو يصرف عنه من الشر مثلها. قالوا: يا رسول الله، إذن نكثر. قال: الله أكثر»^(١). فهم في دعائهم لا يزالون بخير.

وأما المقبريون فإنهم إذا استجيب لهم نادراً، فإن أحدهم يضعف توحيده، ويقل نصيبه من ربه، ولا يجد في قلبه من ذوق الإيمان وحلاوته ما كان يجده السابقون الأولون»^(٢).

(٦) من الجوانب الدعوية المهمة أن نميّز بين

(١) أخرجه أحمد (١٨/٣)، والترمذي، وقال: حديث حسن صحيح.

(٢) «اقتضاء الصراط المستقيم» (٢/٦٨٩).

مراتب الشر والانحراف؛ فالغلو في القبور والافتتان بها له مراتب متعددة ومتفاوتة، فمنها ما يكون شركاً بالله تعالى في توحيد العبادة كالاستغاثة بأرباب القبور، ومنها ما يكون أشنع من ذلك، كأن يستغيث بالأموات معتقداً فيهم الضر والنفع والتصرف في الكون، ومن الغلو في القبور ما يكون محرماً ووسيلة إلى الشرك كالصلاة عند القبور وتحري الدعاء عندها.

ويخطئ بعض الدعاة فلا يفرقون بين هذه المراتب من جهة الحكم عليها، كما قد يخطئون فلا يميزون من جهة ترتبها وأولويتها في الإنكار، والمتعین أن تميز هذه الانحرافات وفق ما جاءت به الأدلة الشرعية، وكما نهتم بآكد الأمور تقريراً ونقدمها، فكذا علينا أن نعنئ بأشنعها تحذيراً... فيحذر ابتداء من الشرك في الربوبية؛ فالشرك في الإلهية، ثم ينظر إلى وسائل الشرك وذرائعه، فما كان أشدها حرمة

وأعظمها وسيلة للشرك فيشتغل بمنعها، ثم ينتقل إلى ما دونها.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ: «والمؤمن ينبغي له أن يعرف الشرور الواقعة ومراتبها في الكتاب والسنة، فيفرّق بين أحكام الأمور الواقعة الكائنة، والتي يُراد إيقاعها في الكتاب والسنة، ليقدم ما هو أكثر خيراً وأقل شراً على ما هو دونه، ويدفع أعظم الشرين باحتمال أدناهما، ويجتلب أعظم الخيرين بفوات أدناهما، فإن مَنْ لم يعرف الواقع في الخلق، والواجب في الدين، لم يعرف أحكام الله في عباده، وإذا لم يعرف ذلك كان قوله وعمله بجهل، ومن عَبَدَ الله بغير علم كان ما يفسد أكثر مما يصلح»^(١).

(١) «جامع الرسائل» (٢/٣٠٥)، وانظر: «الرد على البكري» ص(٥٥).

(٧) من الوسائل الوقائية النافعة تجاه هذا الانحراف: العمل بقاعدة سدّ الذرائع؛ فكل ما كان وسيلة أو ذريعة تؤول إلى الشرك فينبغي التحذير منها ومنعها حماية لجناب التوحيد؛ فالتهاون في هذه الوسائل يفضي إلى الوقوع في الشرك بالله عز وجل والخروج عن الملة، فمثلاً: الصلاة عند القبور والبناء عليها أمور حرّمها الشارع؛ لأنها طريق ووسيلة تفضي إلى الشرك بالله تعالى، وقد أشار العلامة الشوكاني رَحِمَهُ اللهُ إِلَى أن البناء على القبور سبب رئيس في عبادة القبور، فقال: «فلا شك ولا ريب أن السبب الأعظم الذي نشأ منه هذا الاعتقاد في الأموات هو ما زَيَّنَهُ الشيطان للناس من رفع القبور ووضع الستور عليها وتجسيصها وتزيينها بأبلغ زينة، وتحسينها بأكمل تحسين؛ فإن الجاهل إذا وقعت عينه على قبر من القبور قد بنيت عليه قبة فدخلها، ونظر على القبور الستورَ الرائعة، والسرَج المتلألئة، وقد

سطعتْ حوله مجامر الطيب، فلا شك ولا ريب أنه يمتلئ قلبه تعظيماً لذلك القبر، ويضيق ذهنه عن تصور ما لهذا الميت من المنزلة، ويدخله من الروعة والمهابة ما يزرع في قلبه من العقائد الشيطانية التي هي من أعظم مكائد الشيطان للمسلمين، وأشدّ وسائله إلى ضلال العباد ما يزلزله عن الإسلام قليلاً قليلاً، حتى يطلب من صاحب ذلك القبر ما لا يقدر عليه إلا الله - سبحانه -، فيصير في عداد المشركين^(١).

ثالثاً: المسلك الاحتسابي:

وهذا مسلك يقوم به أصحاب الحسبة، الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر، لاسيما أصحاب النفوذ والسلطة والشوكة.

(١) «شرح الصدور بتحريم رفع القبور» ص (١٧).

ويتمثل هذا المسلك في أمرين:

أحدهما: أن يسعى إلى هدم هذه القباب ونقضها وإزالتها، امثالاً للوصية النبوية واتِّباعاً لسلف الأمة.

فعن أبي الهياج الأسدي قال: قال لي علي بن أبي طالب - رضي الله عنه -: «ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ؟ ألا تدع تمثالاً إلا طمسته، ولا قبراً مشرفاً إلا سويته». [أخرجه مسلم].

ولمَّا ذكر ابن القيم هدم مسجد الضرار وتحريقه، قال: «ففي هذا دليل على هدم ما هو أعظم فساداً منه، كالمساجد المبنية على القبور، فإن حكم الإسلام فيها أن تُهدَّم كلها حتى تسوَّى بالأرض، وهي أولى بالهدم من مسجد الضرار، وكذلك القباب التي على القبور، يجب أن تهدم كلها؛ لأنها أسست على معصية الرسول؛ لأنه قد نهى عن البناء على القبور... فبناءً أُسس على معصيته ومخالفته بناء غير

محترم»^(١).

ومن الأمثلة على هذا المسلك الاحتسابي ما فعله الحارث بن مسكين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٢٥٠هـ) عندما هدم مسجداً كان بني بين القبور^(٢).

قال ابن كثير في حوادث سنة ٢٣٦هـ: «فيها أمر المتوكل بهدم قبر الحسين بن علي بن أبي طالب، وما حوله من المنازل والدور، ونودي في الناس: مَنْ وَجِدَ هُنَا بَعْدَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ زَهَبْنَا بِهِ إِلَى الْمَطْبَقِ (السجن)»^(٣).

وقال أبوشامة (ت: ٦٦٥هـ): «ولقد أعجبني ما صنعه الشيخ أبو إسحاق الجبباني أحد الصالحين ببلاد إفريقية في المائة الرابعة، حكى عنه صاحبه الصالح

(١) «إغائة اللهفان» (٣٢٧/١).

(٢) انظر: «ترتيب المدارك» للقاضي عياض (٣٣٢/١)، و«الديباج المذهب» لابن فرحون (٣٣٩/١).

(٣) «تاريخ ابن كثير» (٣١٥/١).

أبو عبدالله محمد بن أبي العباس المؤدّب أنه كان إلى جانبه عين تسمى عين العافية كانت العامة قد افتتنوا بها، يأتونها من الآفاق، من تعذّر عليها نكاح أو ولد قالت: امضوا بي إلى العافية، فتعرف بها الفتنة، قال أبو عبدالله: فإننا في السحر ذات ليلة إذ سمعت أذان أبي إسحاق نحوها، فخرجت فوجدته قد هدمها، وأذن الصبح عليها، ثم قال: اللهم إني هدمتها لك فلا ترفع لها رأساً، قال: فما رُفِعَ لها رأس إلى الآن»^(١).

وذكر ابن غنام في تاريخه ما فعله الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللهُ مع عثمان بن معمر من هدم القباب وأبنية القبور فقال: «فخرج الشيخ محمد بن عبد الوهاب ومعه عثمان بن معمر وكثير من جماعته إلى الأماكن التي فيها الأشجار التي يعظمها عامة الناس والقباب وأبنية القبور، فقطعوا الأشجار

(١) «الباعث على إنكار البدع والحوادث» ص (١٠٣، ١٠٤).

وهدموا المشاهد والقبور، وعدلوها على السنة، وكان الشيخ هو الذي هدم قبة زيد بن الخطاب بيده، وكذلك قطع شجرة الذيب مع بعض أصحابه»^(١).

ومما يجدر التنبيه عليه أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب قد سلك هذا المسلك الاحتسابي العملي لما كان عنده من شوكة وقوة، ولكنه كان في أول أمره قد سلك مسلك الدعوة برفق ولين كما قال تلميذه وحفيده الشيخ عبدالرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب (رحمهم الله): «كما جرى لشيخنا محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللهُ في ابتداء دعوته، فإذا سمعهم يدعون زيد بن الخطاب رضي الله عنه قال: «الله خير من زيد» تمريناً لهم على نفي الشرك بلين الكلام، نظراً إلى المصلحة وعدم النفرة»^(٢).

(١) «تاريخ ابن غنام» (١/٧٨)، بتصرف يسير.

(٢) «مجموعة التوحيد» ص (٣٣٩).

ويذكر الشيخ عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب ما فعلوه أثناء دخولهم مكة (شرفها الله) سنة ١٢١٨هـ فكان مما قاله: «فبعد ذلك أزلنا جميع ما كان يُعبد بالتعظيم والاعتقاد فيه، ورجاء النفع، ودفع الضر بسببه مع جميع البناء على القبور وغيرها، حتى لم يبق في البقعة المطهرة طاغوت يُعبد؛ فالحمد لله على ذلك»^(١).

ومما سطره المؤرخ ابن بشر عن بعض الأعمال التي قام بها الأمير سعود بن عبدالعزيز رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ما يلي:

«ففي حوادث سنة ١٢١٦هـ حين توجه سعود بالجيوش إلى كربلاء، فهدم القبة الموضوعة على قبر الحسين»^(٢).

ويقول أيضاً: «وفي حوادث سنة ١٢١٧هـ حين

(١) «الهدية السنية» ص (٣٧).

(٢) «عنوان المجد» (١/٢٥٧).

دخل سعود مكة وطاف وسعى، فرَّق جيوشه يهدمون القباب التي بنيت على القبور والمشاهد الشركية، وكان في مكة من هذا النوع شيء كثير في أسفلها، وأعلىها، ووسطها، وبيوتها، فأقام فيها أكثر من عشرين يوماً، ولبث المسلمون في تلك القباب بضعة عشر يوماً يهدمون، يباكرون إلى هدمها كل يوم، وللواحد الأحد يتقربون، حتى لم يبق في مكة شيء من تلك المشاهد والقباب إلا أعدموها، وجعلوها تراباً»^(١).

وفي سنة ١٣٤٣هـ قام أتباع الدعوة السلفية بهدم القباب والأبنية على القبور بمكة، مثل القبة المبنية على قبر أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها.

وقام الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي رَحِمَهُ اللهُ - في جنوب الجزيرة العربية - بهدم قبة في الساحل

(١) «المرجع السابق» (١/٢٦٣).

بمشاركة بعض زملائه، وبقايا قبة علي قبر الشريف حمود المكرمي في سامطة^(١).

ويقول الشيخ الألباني : «ومن تلك الأشجار شجرة كنت رأيته من عشر سنين شرقي مقبرة شهداء أحد، خارج سورها، وعليها خرق كثيرة، ثم رأيته سنة ١٣٧١هـ قد استؤصلت من أصلها، والحمد لله، وحمى المسلمين من شر غيرها من الشجر وغيره من الطواغيت التي تُعبَد من دون الله تعالى»^(٢).

الأمر الثاني: أن يسعى إلى فضح وكشف مكائد أرباب القبور وسدنتها، وبيان حقيقة هؤلاء الدجالين الملبسين، وما هم عليه من الفجور والولوغ في الفواحش، وأكل أموال الناس بالباطل، وأنهم خونة

(١) انظر: «الشيخ حافظ الحكمي، حياته ومنهجه في العقيدة» لأحمد علوش، ص(٣٥٧).

(٢) «تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد» ص(١٣٩).

وعملاء للاستعمار وأذنايه.

وقد كشف أهل العلم حقائق مخزية وأحوالاً فاضحة لأولئك السدنة المضلين وأتباعهم، وما يرتكبونه من انخلاع عن شرائع الله تعالى، وولع بالفجور والقاذورات.

يقول العلامة النعمي حاكياً بعض أوضاعهم: «ومن ذلك أن رجلاً سأل من فيه مسكة عقل، فقال: كيف رأيتَ الجمع لزيارة الشيخ؟ فأجابه: لم أرَ أكثر منه إلا في جبال عرفات، إلا إني لم أرهم سجدوا لله سجدة قط، ولا صلوا مدة الأيام فريضة.

فقال السائل: قد تحمّلها عنهم الشيخ!.

قلت [النعمي]: وباب (قد تحمّل عنهم الشيخ) مصراعاه ما بين بُصرى وعدن، قد اتسع خرقة، وتتابع فتقه، ونال رشاش زقومه الزائر والمعتقد،

وساكن البلد والمشهد»^(١).

ومما سوّده المؤرخ الجبرتي في شأن مشهد عبدالوهاب العفيفي (ت: ١١٧٢هـ) وما يحصل عنده من أنواع الفسوق والفجور ما يلي: «ثم إنهم ابتدعوا له موسماً وعيداً في كل سنة يدعون إليه الناس من البلاد، فينصبون خياماً كثيرة ومطابخ وقهاوي، ويجتمع العالم الأكبر من أخلاط الناس وخواصهم وعوامهم وفلاحي الأرياف وأرباب الملاهي والبغايا، فيملؤون الصحراء، فيطؤون القبور ويوقدون عليها النيران، ويصبون عليها القاذورات ويبولون ويتغوطون ويزنون ويلوطون ويلعبون ويرقصون ويضربون بالطبول والزمور ليلاً ونهاراً، ويستمر ذلك نحو عشرة أيام أو أكثر»^(٢).

(١) «معارج الألباب» ص (١٧٧).

(٢) «تاريخ الجبرتي» (١/٣٠٤) = باختصار.

وتحدث الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ عن مفاصد عبّاد القبور، فكان مما قاله: «ومنها: ما يقع ويجري في هذه الاجتماعات من الفجور والفواحش، وترك الصلوات وفعل الخلاعات التي هي في الحقيقة خلع لربقة الدين والتكليف، ومشابهة لما يقع في أعياد النصارى والصابئة والإفرنج ببلاد فرنسا وغيرها من الفجور والطبول والزمور والخمور»^(١).

ويصف الشيخ عبدالرحمن الوكيل أحوال عبّاد القبور - من الصوفية وغيرهم - ويشير إلى جملة من صور الكفر والفجور في تلك المشاهد والموالد، فيقول: «وسلّ الآمّين تلك الموالد عن عريضة الشيطان في باحاتها، وعن الإثم المهتوك في حاناتها، وعن حمم الشهوات التي تتفجر تحت سود

(١) «منهاج التأسيس» ص(٥٥).

ليلاتها.. فما ينقضي في مصر أسبوع إلا وتحشد الصوفية أساطير شركها، وعُباد أوثانها عند مقبرة يسبّحون بحمد جيفتها، ويسجدون أذلاء لرمتها، ويقترفون خطايا المجوسية في حماتها، ويحتسون آثام الخمر و«الحشيش»، والأجساد التي طرحها الإثم على الإثم فجوراً ومعصية، ويسمونها موالد، أو مواسم عبر وذكريات خوالد...»^(١).

وسرد الكاتب أحمد منصور أقوال المؤرخين في الانحلال الخلقي عند مشهد الإنبائي.. وأن فيه من الفساد ما لا يُوصف، حتى إن الناس وجدوا حول هذا المشهد أكثر من ألف جرة خمر فارغة، وأما ما حكي من الزنا واللواط فكثير لا يُحصى.. حتى أرسل الله تعالى عليهم ريحاً في تلك الليلة كادت

(١) «هذه هي الصوفية» ص(١٦٠، ١٦١) = باختصار.

تقتلع الأرض بمن عليها... (١).
 وأمعن عبّاد القبور في أكل أموال الناس بالباطل،
 وارتكبوا أنواع الأكاذيب والدجل في سبيل نهب
 أموال العامة وممتلكاتهم.

وقد حكى العلامة الشوكاني هذه الحالة فقال:
 «وربما يقف جماعة من المحتالين على قبر ويجلبون
 الناس بأكاذيب يحكونها عن ذلك الميت ليستجلبوا
 منهم النذور، ويستدروا منهم الأرزاق ويقنصوا
 النحائر، ويستخرجوا من عوام الناس ما يعود عليهم
 وعلى من يعولون ويجعلون ذلك مكسباً
 ومعاشاً...» (٢).

وصندوق النذور عند ضريح البدوي في مصر

(١) انظر: «السيد البدوي» ص(٣٢٣ - ٢٣٦)، وانظر: «الصراع بين
 الحق والباطل» لسعد صادق، ص(٤٩، ٥٠)، و«الألوهية في
 العقائد الشعبية» لعبد السلام البسيوني، ص(٩٦ - ٩٨).

(٢) «الدر النضيد» ص(٢٧).

يستقطع من الدهماء ملايين الجنيهات، وللحكومة ٣٩٪ من هذه الأموال!! وسائر الأموال لسدنة الضريح وللعاملين عليه!! وحسبك أن تعلم أن ما يناله خادم الضريح من هذه الأموال أكثر مما يناله كبار الأطباء والمهندسين وأساتذة الجامعات... ومع ذلك لم يقف طمع أولئك السدنة وشركهم عند هذا الحد، بل ويعمدون إلى التلاعب والتزوير في هذا الصندوق من أجل مزيد من الأموال^(١).

وأما الحديث عن خيانتهم وعماليتهم للاستعمار، فنكتفي بهذا المثال، وهو: أن فرنسياً أسلم وتسنك وصار إماماً لمسجد كبير في القيروان بتونس، فلما اقترب الجنود الفرنسيون من المدينة استعد أهلها

(١) انظر تفصيل ذلك في كتاب: «الله توحيد وليس وحدة» لمحمد البلتاجي، ص(٣٠٢ - ٣٠٨)، وكتاب: «البدوي» لأحمد منصور ص(٢٩٨، ٢٩٩).

للدفاع عنها، وجاءوا يسألونه أن يستشير لهم ضريح شيخ في المسجد يعتقدون فيه، فدخل الضريح ثم خرج مهوَّلاً لهم بما سينالهم من المصائب، وقال لهم بأن الشيخ ينصحكم بالتسليم، فاتبع أولئك البسطاء قوله واستسلموا لعدوهم^(١)!

* * *

(١) انظر: «التصوف بين الحق والخلق» لمحمد الشقفة، ص(٢١١)، (٢١٢).

الفهرس

الصفحة	الموضوع
٣	مقدمة
٣	واجب العلماء والدعاة
٤	أولاً: المسلك العلمي
٤	احتجاج القبوريين بأحلام شيطانية
٦	احتجاجهم بأحاديث مكذوبة
٩	الأجوبة المجملة المحكمة على شبهاتهم
١٣	الفرق بين التوسل والاستغاثة
١٦	شبهات القبوريين والجواب عنها
٢٣	احتجاجهم بالبناء على القبور في القديم والحديث
	احتجاجهم بوجود قبر النبي ﷺ داخل المسجد
٢٨	النبي وبناء القبة عليه
٣٣	ثانياً: المسلك الدعوي

- ٣٣ أن يعنى العلماء والدعاة بتقرير التوحيد
- ٣٤ تربية الأمة على التسليم لنصوص الكتاب والسنة
- ٣٦ دعوة الناس إلى الالتزام بالشرع
- ٣٧ دعوة الناس إلى تدبر آيات القرآن
- ٤١ مخاطبة عقولهم ودعوتهم إلى التفكير
- ٤٣ من الأجوبة العقلية في الرد على القبوريين
- من الجوانب الدعوية التمييز بين مراتب الشر
- ٤٤ والانحراف
- ٤٧ العمل بقاعد سدّ الذرائع
- ٤٨ ثالثاً: المسلك الاحتسابي
- ٤٩ هدم القباب وإزالتها
- ٥٥ كشف مكائد سدنة القبور
- ٦٣ الفهرس